

التعريب طريق العربية إلى العالمية^(١)

د. ممدوح خسارة

(١) مفهوم التعريب وواقعه في الوطن العربي:

ما نعنيه بالتعريب في هذا المقام دون سواه من مفهوماته وتأويلاته^(٢)، هو نقل العلوم إلى اللغة العربية وتعليمها بالعربية في مختلف مراحل التعليم، ولا سيما التعليم الجامعي^(٣)، القضية التي ما زال ينازع فيها بعض منّا.

ومن الغريب حقاً أن ندافع عن التعليم بلغة الأمة، الأمر الذي ليس موضع نقاش أو جدل في معظم أمم العالم. سأل عميد كلية عربية رئيس جامعة يابانية في إحدى الزيارات الرسمية: بأي لغة تعلّمون؟ فتجاهل المسؤول سؤاله، فظن الزائر العربي أن مُصَيِّفه لم يسمع السؤال فكرره، وعندئذ أجابه: باليابانية، طبعاً، وتساءل كالمستغرب: وهل ثمة من يعلم بغير لغته؟

أجل أيها المضيف الكريم لا تستغرب، فنحن العرب مازلنا نعلم بغير لغتنا استثناء من القاعدة. والأدهى أننا مازلنا نتمارى في صلاحية لغتنا لنقل العلوم

(١) بحث عضو المجمع د. ممدوح خسارة في المؤتمر الدولي الأول للغة العربية الذي عقد في بيروت ١٩-٢٣/٣/٢٠١٢م. تحت عنوان: العربية لغة عالمية مسؤولة الفرد والمجتمع والدولة.

(٢) د. المنجي الصيادي - التعريب والتنسيق في الوطن العربي: ١٠٤.

(٣) د. ممدوح خسارة - التعريب والتنمية اللغوية: ١٥.

وتدريسها، ووراء هذه اللغة خمسة عشر قرناً من الترجمة العلمية والتأليف العلمي، ووراءها قرون «كانت فيها إحدى لغات خمس عُدَّت لغاتٍ علمٍ على مر العصور، وهي السنسكريتية والصينية القديمة واليونانية واللاتينية والعربية».^(١) وبالنظر لنصوع حقيقة أن الأصل في لغة التعليم أن تكون اللغة القومية، اتخذت جامعة الدول العربية ممثلة بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم منذ سنة (١٩٧٥) قراراً بأن يكون عام (٢٠٠٠) م هو عام التعريب الشامل، ولكن وبعد انقضاء اثنتي عشرة سنة على السنة المهدف، مازالت خريطة التعريب في الوطن العربي محبطة إلى حدٍّ بعيد.

صحيح أن العلوم الإنسانية معرَّبة في معظم الجامعات العربية، ولكن الصحيح والمؤلم أيضاً أن العلوم الأساسية والتطبيقية مازالت تُدرَّس في معظم الجامعات العربية الرسمية والخاصة باللغات الأجنبية. و التوجه نحو التعريب مازال خجولاً، فقد تعرَّب كلية هنا أو قسم هناك، أو مقرر هنالك، بل ربما نُكص عن التعريب في بعض الكليات العلمية بعد أن كانت معرَّبة أو كانت قد بدأت بالتعريب.^(٢)

(٤) د. نزار الزين - عملية التعريب - مجلة الوحدة - ع ٣٣: ٣٢.

(٥) تُرْوجع عن تعريب الرياضيات بجامعة إربد بعد أن بُوشر فيه، وتُروَّجع عن تعريب كلية الاقتصاد والتجارة في جامعة الكويت، وعن تعريب الطب في جامعة القاهرة بعد الانفصال. ينظر: د. مكّي الحسني - التعريب العالي بالعربية بين الواقع والآمال والندوة السنوية لتعريب التعليم العالي: ١٧٢ - ١٧٣ - ود. عبد الكريم خليفة - مجلة عالم الفكر المجلد ٤٢: ٤/١٩.

وهاكم صورة عن واقع التعريب في الوطن العربي بحسب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ():

* العلوم الأساسية: (الرياضيات والفيزياء والكيمياء...) تُدرّس كلياً بالعربية في سورية وقطر وليبيا والسودان. وتدرس بالأجنبية كلياً في الأردن والإمارات والجزائر وفلسطين والكويت ولبنان، ويدرس بعضها بالعربية وبعضها بالأجنبية في البحرين والسعودية والعراق ومصر وموريتانيا.

* العلوم الطبيّة: تدرس كلياً بالعربية في سورية، وبالأجنبية في الأردن والبحرين والجزائر والسعودية وفلسطين والكويت ولبنان، ويُدرّس بعضها بالعربية وبعضها الآخر بالأجنبية في العراق ومصر. وفي ليبيا تدرّس بعض الكليات بالعربية وبعضها بالأجنبية.

* العلوم الهندسية: تدرس كلياً بالعربية في سورية، وتدرس كلياً بالأجنبية في الإمارات والأردن والجزائر والسعودية والسودان وفلسطين، وقطر والكويت ولبنان ومصر وموريتانيا. وتدرس جزئياً باللغة العربية في البحرين والعراق وليبيا. أما المعاهد المتوسطة فمعظمها يدرّس بالعربية، وكذا كليات التربية الجامعيّة التي تخرج المدرسين للعلوم كافة.

وإذا كان من الغريب ألا تحزم كل الدول العربية أمرها في تدريس العلوم الأساسية والتطبيقية بالعربية، فإن الأكثر غرابة أن تدرّس حتى بعض العلوم الإنسانية جزئياً باللغة الأجنبية في الأردن والإمارات والبحرين والسودان

(٦) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- التعريب في الوطن العربي واقعه ومستقبله :

ولبنان ومصر وموريتانيا.^(١)

عُقدت مؤتمرات وندوات متخصصة حول قضية التعريب تجاوزت الأربعين على مدار نصف قرن من الزمان، وصدر عنها مئات القرارات والتوصيات والمقترحات، وأنشئت من أجلها مؤسسات عربية كمكتب تنسيق التعريب بالرباط، والمركز العربي للتعريب والترجمة والنشر بدمشق، والمركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحفية بالكويت. وتبعته منظمات عربية كثيرة كاتحاد الأطباء العرب واتحاد المهندسين واتحاد المحامين وغيرها.

ولقد اتخذ أحد عشر قراراً حول التزام التعريب أهمها:

١- ميثاق الوحدة الثقافية العربية المقرر في جامعة الدول العربية (١٩٦٤) الذي ينص على «أن الدول العربية الأعضاء توافق على أن تكون اللغة العربية لغة التعليم والدراسات والبحوث في مراحل التعليم كلها».^(٨)

٢- قرار المؤتمر الثالث لوزراء التربية والتعليم العالي العرب في المغرب (١٩٧٠) الذي نص على أن «تبادر جميع الدول العربية في أسرع وقت ممكن إلى اتخاذ التدابير والوسائل الكفيلة باستعمال اللغة العربية لغة التدريس في جميع مراحل التعليم العام والمهني».^(٩)

٣- قرار المجلس الأعلى لدول الخليج العربية في دورته السادسة في

(٧) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- التعريب في الوطن العربي واقعه ومستقبله:

(٨) المصدر السابق نفسه: المقدمة.

(٩) د. ممدوح خسارة - التعريب بين القرارات والتوصيات - مجلة التعريب ع ١٣ - ص ١١.

مسقط عام (١٩٨٥) الذي نص على «الالتزام بتعريب التعليم العالي والجامعي بكل فروعهِ وتخصصاته كلما كان ذلك ممكناً.» (١٠)

كما اتخذت مئات التوصيات حول الموضوع، ولعلَّ أهمها التوصيات والقرارات التي صدرت عن ندوة تعريب التعليم الطبي التي عُقدت في دمشق عام (١٩٨٨) والتي شارك فيها ثلاثة عشر وزيراً للصحة وأربعون من عمداء كلية الطب، وثمانية وخمسون ممثلاً لمنظمات واتحادات عربية. ومن أهم توصياتها: التوجُّه إلى رئيس الجمهورية العربية السورية بتبني عرض موضوع قرار تعريب التعليم الطبي على أول مؤتمر للقمة العربية، وتكليف مجلس وزراء الصحة العرب بوضع الخطة التنفيذية للبدء في تدريس الطب والعلوم الصحيَّة باللغة العربية.

ولكن كل تلك المؤتمرات والندوات والقرارات والتوصيات لم تُحقَّق ما كان يُعوَّل عليها، وليس إخفاق العمل العربي المشترك في مسألة التعريب إلا واحداً من إخفاقات كثيرة له. (١١)

ويبدو «أن التعريب الذي هو أمر واقع عند المشاركة منذ زمان» (١٢) على حدِّ تعبير المنجي الصيادي لم يعد كذلك، بعد أن ظهر في المشرق من يعارض هذا التوجُّه الثقافي الأصيل فيجعل التعليم في جامعاته باللغات الأجنبية، حتى إنَّ من يعلمُّ بالعربية يتعرض للمساءلة.

(١٠) لمزيد من التفصيل ينظر - د. ممدوح خسارة - التعريب مؤسساته ورسائله: ١٢٧ - ١٣٥.

(١١) المصدر السابق نفسه.

(١٢) د. المنجي الصيادي - التعريب وتنسيقه في الوطن العربي: ١٢٦.

(٢) التعريب في سورية:

نخص التعريب في سورية بفضل شرح لثباته ودوامه، إذ ورثت سورية تجربة التعريب الأولى في العصر الحديث التي ولدت في مصر في عهد الحاكم المنور محمد علي باشا، في المدارس العلمية المتخصصة التي كان أنشأها قاعدة لنهضة علمية وصناعية مأمولة ومخطط لها، كمدارس الطب والهندسة وغيرها، تلك التجربة الرائدة التي استمرت نحو ستين عامًا، من سنة (١٨٢٦) م إلى سنة (١٨٨٧) م^(١٣)، ولو استمرت تلك المدارس على منهجها ولغتها، لحملت إلى مصر التقدم العلمي والصناعي الذي حملته المدارس اليابانية التي أنشئت في تلك الفترة، والتي استمر التعليم فيها باللغة الوطنية، ولعلّ هذا ما يفسّر لماذا كان الحاكم البريطاني هو صاحب قرار تعجيم التعليم في مصر. كما ورثت سورية تجربة التعليم المعرب في لبنان الذي نهضت به الكلية السورية الإنجيلية (الجامعة الأمريكية فيما بعد) وجامعة القديس يوسف عند إنشائها التي استمرت بضع عشرة سنة قبل أن تتحول لغة التدريس فيها إلى اللغات الأجنبية.^(١٤)

ومنذ سنة (١٩١٩) م عندما أنشأت سورية معهدَي الحقوق والطب اللذين كانا نواة الجامعة السورية (جامعة دمشق فيما بعد)، كان التعليم فيها باللغة العربية،

(١٣) د. عبد الحليم منتصر - خصائص اللغة العربية في التعليم العالي - مجلة مجمع القاهرة ع ٣٢: ص ٤٣.

(١٤) د. شاکر الفحام - قضية المصطلح وموقعه في نطاق التعليم العالي - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٥٩ / ٤ ص ٦٥٤.

أي وُلد التعليم العالي في سورية معرّباً، وما زال ذلك نهج سورية وسياستها في التعليم بعد نحو قرن من الزمان. ولكن من عجب أن بعض الدارسين العرب ما زالوا يُسمون عملية التعريب في سورية وممارسته (بالتجربة السورية)، وكأنها لم تنتقل في أذهانهم بعد إلى واقعٍ ثابتٍ مُسَلَّم به وقد بلغ عمرها ثلاثة وتسعين عاماً. لم تمضِ عميلة التعريب وحركته، في سورية دون عقبات ومعوقات، ولكن الإرادة القوية لدى الجيل الأول من أساتذة الجامعات والساسة والعلماء والباحثين كانت أقوى من كل الصّعاب، فذلّت ما اعتاقها، وأغنت حركة التعريب بما رسّخها، وغدا التعريب في سورية حُجّة لمن يؤمن به ويدعو إليه، وكاد يصبح سياسة عربية عامّة عندما بدأت بعض الدول العربية تنتهجه بالتدرّج كما في السودان والعراق وليبيا وتونس والجزائر، لولا عوامل لا يتسع المقام لذكرها.

٣) التعريب وعصرنة اللغة العربية وتحديثها:

من أهم ما يستدعيه الحديث عن لغة عربية عصرية، الكلام على المصطلح العلمي، والكتابة العلمية بالعربية.

١- المصطلح العلمي العربي: كان من مستلزمات تعريب العلوم والتعليم وضع المصطلحات العلمية العربية، لأن المصطلح العلمي ركن في البحث العلمي أولاً، ثم هو ركن في نقل وترجمة العلوم كافة، وكان وراء هذه الحركة المصطلحية جيش من العلميين واللغويين المخلصين. ولولا المصطلح العلمي العربي لما أمكن التدريس بالعربية. إن الحركة المصطلحية العربية تمخّضت عن مئات المعاجم

المتخصّصة^(١) وثنائية اللغة أو ثلاثيَّتها. وأثبتت قدرة العربية على التفاعل مع اللغات العلمية والوقوف معها على صعيد العالمية. وأوضح دليل على ذلك أن كثيراً من بنوك المصطلحات العالمية تُخزّن المصطلحات العلمية العربية في مكانزها.

٢- التأسيس لكتابة علمية عربية معاصرة: أدى تعريب العلوم والتعليم إلى التأسيس لكتابة علمية عربية^(٢) أو للغة علمية عربية قوامها جملة قصيرة واضحة وكلمة سهلة مأنوسة ومصطلح علمي دقيق ومنهج سليم في التصنيف والتبويب، أي الوصول إلى لغة تتسم بالوضوح والدقة والإيجاز، وتلك هي سمات الكتابة العلمية في العالم، وهذه الكتابة العلمية العربية المعاصرة هي تطوير للكتابة العلمية العربية القديمة التي وجدنا نماذج عالية منها في كتب ابن الهيثم والبيروني وابن سينا وابن رشد وغيرهم من العلماء الأجلاء. وهذا يعني إسهام العربية في أسلوب التعبير العلمي ومنهجه الذي صار عالمياً إلى حدٍّ بعيد، فتكون الكتابة العلمية، بذلك ثمرة من ثمار التعريب، وفي الوقت نفسه مظهراً من مظاهر العالمية.

التعريب هو الذي أغنى العربية بالمفردات والألفاظ الجديدة التي تعبر عن مختلف أشكال التواصل في الحياة المعاصرة، وأغناها بالتركيب السهلة السائغة على الألسن، فعَصَرَن اللغة العربية، أي جعلها قادرة على التعبير عن متطلبات الحياة

(١٥) ينظر د. مسفر الشيبتي - ود. محمود إسماعيل صيني. المراجع المعجمية العربية وغيرها مما نشرته مجلة اللسان العربي.

(١٦) عُقد مؤتمرات للكتابة العلمية باللغة العربية الأولى في بنغازي عام ١٩٩٠ والثاني في مجمع اللغة العربية بدمشق عام ٢٠١٠.

العصرية، ولكن دون أن تنقطع صلتها بجذورها ولا بتراثها. ونحن نتساءل تُرى لو لم نبين هذه اللغة العلمية المعاصرة، هل كان بإمكاننا اليوم فهم برنامج علمي تلفزيوني عن الفضاء أو البحار أو البيئة أو الوراثة؟ لو لم نعرّب العلوم والتعليم لبقينا - بل لبقينا بعض أبنائنا فقط - يتلقونها بلغتها الأجنبية، وكم كانت نسبة أولئك الذين سيفهمون ما يجري حولنا. ثمة شيء آخر يلقي علينا مسؤولية علمية العربية وعصرنتها، وهم الناطقون بالعربية من سوى العرب. فما يزال إخواننا المسلمون من غير العرب يطالبوننا بأن نحافظ على علمية اللغة العربية وعالميتها، لأن لغاتهم تُعوّل على العربية في مصطلحاتها. يقول العالم المجمع صلاح الدين السلجوقي: «لا يوجد كتاب علمي في ديارنا إلا هو مؤلف باللغة العربية، إذ ليست لنا لغة علمية غير اللغة العربية الشريفة... والآن في أفغانستان وإيران وتركيا نجد أن معظم المصطلحات العلمية هي باللغة العربية»^(١٧). ويُلقى هذا العالم غير العربي على كواهل العرب واجباً ثقيلاً يحاول بعضنا التهرب منه، إذ يقول: «وأنا كمسلم لا أعتقد المفاضلة بين عربي وعجمي، ولكنني لا أنكر أن المركز الثقافي واللغوي هو بين العرب لا العجم»^(١٨). ويذكر د. حسني سبّح أن ٩٠٪ من

(١٧) د. صلاح الدين السلجوقي. نظرة أعجمي في ثقافة اللسان العربي - مجلة مجمع القاهرة -

ج ١٤، ص ١٣٧-١٣٨.

(١٨) المصدر السابق نفسه.

مصطلحات الطب التركية هي ألفاظ عربية. ()

وبعد فلا أريد أن يغويني البحث بالحديث عن مُسوِّغات التعريب ودواعيه،
القضية التي لم يعد يماري فيها إلا جاهلٌ أو صاحب هوى.

٤) التعريب وعالميّة اللغة العربية: ولكن ما الصلة بين التعريب بمعنى نقل
العلوم إلى العربية وتدريسها بها، وبين العالميّة؟ إن وصف اللغة (بالعالميّة) لا يعني
فقط سعة الانتشار كما تذهب بعض تعريفاتها، وإنما يعني أيضاً النسبة إلى هذا العالم
بأهم خصيصة من خصائصه وهي اليوم (العِلْم)، إذ هو الذي يكاد يسيطر على
جميع مناحي حياتنا في هذا العالم المعاصر، فكما أن وصف شيءٍ بالإنسانية يعني
النسبة إلى أخص ما في الإنسان وهي الآدمية والأخوة والضمير والاجتماع، وكما
أن نسبة عملٍ إلى البطولة، بقولنا (بطولي) يعني النسبة إلى أظهر ما يميز البطولة
وهي الشجاعة والتضحية، فكذا قولنا عن قضية إنها عالميّة أي إنها تتصف بأبرز ما
يتصف به العالم اليوم وهو (العِلْم). ولعلّ العربية كانت من أدق اللغات عندما
جعلت (العِلْم والعالم) من مادة لغوية واحدة، إذ العالم هو ميدان العلم.

ولذا نرى أن شعارنا (العربية لغة عالميّة) يعادل موضوعياً «العربية لغة علميّة».

فلا نعتقد أن بإمكان لغة ما أن تكون عالمية ما لم تكن لغة علم..

لقد أثبتت العربية في العصرين الجاهلي والإسلامي الأول أنها لغة أدب
وشرعيات وبيان من الطراز الأول، ثم جاء عصر الازدهار العربي في القرون

الهجرية الخمسة الأولى ليثبت جدارة العربية لغة علوم وبرهان، تجلّ ذلك في حركة التعريب والترجمة التي كانت (دار الحكمة) ببغداد عريناً لها، حيث تمت ترجمة ما يزيد على أربع مئة كتاب علمي من اللغات الأخرى التي كانت معاصرة على ما يذكر ابن النديم في الفهرست^(٢٠).

لقد كان التعريب طريق العربية قديماً إلى العلم أولاً، إذ أصبحت لغة علوم وطب ومنطق ورياضيات، ثم إلى العالمية ثانياً، لأن العربية صارت حاملةً وحافظةً لعلوم ذلك العصر، فتعلّمها عددٌ غير قليل من المثقفين في القرون الوسطى ليطلّعوا على ما في تلك العلوم، ثم لينقلوها إلى لغاتهم ولا سيما اللاتينية.

لقد كان التعريب طريق العربية إلى العالمية قديماً. وسيكون التعريب بالمعنى الذي قدّمنا طريق العربية إلى المعاصرة ووسيلتها إلى العالمية أيضاً، أي تمثّل روح العصر وهي العلم، ومن ثم انتشارها بين أمم أخرى ممن يرغب فيها تحمله أو تنقله من معارف.

فلكي تكون لغتنا العربية عالمية لأبدٍ من أن تكون أولاً لغة علم، وهذا ما لا يتأتى لها إلا بتعريب العلوم والتعليم.

ولعلّ أبرز ميادين العلم المعاصر هي:

-العلوم الأساسية والتطبيقية.

-المعلوماتية وتقاناتها، من حواسيب وشابكة ونشر إلكتروني وعالم افتراضي

واتصالات.

(٢٠) ابن النديم - الفهرست من ٣٤٠ - ٣٤٢ - ٣٥٣ - ٣٦١ - و.....

فهل استطاعت اللغة العربية التفاعل مع هذه العلوم وإنجازاتها العلمية العظيمة تأثراً وتأثيراً؟ لنر ذلك:

١ - اللغة العربية والعلوم الأساسية والتطبيقية:

بدأت العربية طريقها إلى العلمية في العصر الحديث عندما بدأت تنقل العلوم الأكثر تقدماً في عصرنا، فليس من علم متقدم إلا نُقلت مراجعه ومصادره إلى العربية. إن نظرة على أسماء الكتب التي ترجمها المركز العربي للتعريب والترجمة والنشر بدمشق، والمركز العربي للمطبوعات الصحيّة ومؤسسة التقدم العلمي بالكويت، ومديرية الترجمة في وزارة التعليم العالي وفي جامعات القطر، وديوان المطبوعات الجزائري، وغيرها والتي بلغت المئين من العناوين في مختلف الاختصاصات العلمية الأساسية من رياضيات وفيزياء وكيمياء وهندسة بفروعها وطب بشتى تخصصاته، تثبت قدرة العربية على التفاعل مع اللغات العالمية المعاصرة أخذاً، ذلك أن تلك الترجمات لم تكن من لغة واحدة بل من لغات عدة هي الإنكليزية والفرنسية والروسية والألمانية وغيرها من لغات العلم. وتثبت أيضاً قدرتها على التفاعل مع غيرها عطاءً بما تُرجم من العربية إلى غيرها من عيون الأدب العربي روايةً وشعراً.

أليست قدرة اللغة - أيّ لغة - على التفاعل مع اللغات العالمية الأخرى أخذاً وعطاءً دليلاً على عالميتها؟

ومع كل ما يعتري حركة الترجمة إلى العربية من تقصير وخلل وعيوب عُقدت من أجلها ندوات ومؤتمرات، إلا أن الحقيقة الناصعة أن العربية استطاعت التعبير عن

مضمونات العلوم ودقاتها، أما التقصير فنحن من يتحمل مسؤوليته وليست اللغة. أدى تعريب العلوم وتدريسها إلى ظهور مؤلفات علمية باللغة العربية أسست لنشوء لغة علمية عربية أو كتابة باللغة العربية، قوامها الوضوح والإيجاز والسهولة والدقة كما سبق، وإذا كانت مؤلفاتنا العلمية العربية فقيرة في التجديد والإبداع، فما ذلك لقصور في اللغة نفسها- كما يخلو للبعض أن يقول - بل لمجمل الحالة العلمية والحضارية التي يمر بها الوطن العربي ومجتمعاته.

٢- اللغة العربية والمعلوماتية وتقاناتها:

إذا كان تعريب العلوم الأساسية والتطبيقية قد أدى إلى تطوير اللغة العربية وتنميتها وظهور لغة علمية عربية، فإن تعريب المعلوماتية قد أدى إلى عَصْرَنة اللغة العربية وعالميتها بكل ما تحمله كلمة العصرية من دلالات:

أ- صارت اللغة العربية قادرة على التعامل مع الحواسيب. ولقائل أن يقول: ولكن الحواسيب هي التي تتعامل مع اللغة العربية! لا فرق بين القولين، فلو لم يكن في العربية من الخصائص الصرفية والنحوية والدلالية ما هو قياسي لما استطاع الحاسوب التعامل معها. ومازلنا نذكر أنه في بدء انطلاق عصر الحواسيب سُمِتَ المشككون بالعربية، وراهنوا على أن العربية بحروفها المتعددة الأشكال ونحوها وصرّفها وطريقة كتابتها من اليمين إلى اليسار، لن تستطيع التوافق مع الحاسوب، وكم كان رهانهم خاسراً حينما تبين أن العربية من أكثر اللغات توافقاً مع هذه التقانة. يقول الدكتور نبيل علي خبير المعلوماتية الكبير: «ومن منظور معالجة

اللغات الإنسانية آلياً بواسطة الكمبيوتر أثبتت العربية أيضاً جدارتها كلغة عالمية، ففضل توسطها اللغوي الذي أشرنا إليه يسهل تطويع النماذج البرمجية المصممة للغة العربية لتلبية مطالب اللغات الأخرى، وعلى رأسها الإنكليزية، بقول آخر فإن العربية لغوياً وحاسوبياً يمكن النظر إليها بلغة الرياضيات الحديثة على أنها فئة عليا تدرج في إطارها كثير من اللغات الأخرى كحالة خاصة من هذه الفئة العليا» (٢١).

وفي ميدان المعلوماتية وتقانة الحواسيب، بدأ العلميون واللغويون العرب بتصميم برامج حاسوبية وأنظمة معلوماتية تسهم في خدمة العربية وتطويرها وكان من الإنجازات في هذا المجال:

١- برامج التصحيح الصرفي والإملائي (٢٢): ولعل أحدثها برنامج (تشكيل) الذي نجح إلى درجة حسنة في الضبط الصرفي لنصوص عربية. صحيح أن البرنامج من إنتاج وابتكار شركة عالمية (٢٣) ولكن الصحيح أيضاً أن الخبراء والفنيين كانوا من المهندسين واللغويين العرب العاملين لديها، وأن العربية قابلة بجدارة للحوسبة. وكان المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجية بدمشق يعمل على

(٢١) د. نبيل علي - الثقافة العربية في عصر المعلوماتية: ٢٣٨.

(٢٢) د. ندى غنيم - اللغة العربية والحاسوب - المؤتمر الخامس لمجمع اللغة العربية بدمشق ٢٠٠٦.

(٢٣) هو من إنتاج شركة (غوغل) العالمية.

هذا البرنامج وغيره من مثل: تطبيقات تعرّف الكلام لإعطاء أوامر صوتية للآلات، وتحويل الرموز الكتابية إلى رموز صوتية وتحويل الرموز الصوتية إلى أصوات منطوقة^(٢٤).

٢- البرامج التعليمية الرقمية باللغة العربية. إذ صار بالإمكان تعلّم وتعليم العربية بطريق الأقراص المدججة نطقاً ودلالة ونحواً وصرفاً، وعلى مراحل متدرجة^(٢٥).

٣- برامج التصفّح ومحركات البحث بالعربية: وهذا إنجاز علمي ولغوي لا يقدر بثمن، إذ صار بإمكان الباحث العربي أن يتعرف وجود كلمة ما في عشرات الألوف من الكتب، وهذا ما كان يكلف الباحث شهوراً من عمره، وكذا صار بإمكانه تعرّف محتويات أهم مكتبات العالم المخزّنة على أقراص مدججة. ولم يعد الباحث بحاجة للتنقيب أياماً في فهارس المكتبات والمطبوعات. وأنا أنقل ما ذكره مختصون في هذا الصدد مثل: محرك البحث (الإدريسي) باللغة العربية. ومحرك البحث (صوافي). كما أعلنت مجموعة (مكتوب) عن طرحها لمحرك بحث يستخدم قواعد العربية^(٢٦).

(٢٤) د. ندى غنيم - اللغة العربية والحاسوب - المؤتمر الخامس لمجمع اللغة العربية بدمشق ٢٠٠٦.

(٢٥) د. محمد عبد الرحمن آل الشيخ - مؤتمر اللغة العربية أمام تحديات العولمة: ٢٤٦-٢٦٠.

(٢٦) د. منصور فرح - الفجوة الرقمية في المجتمع العربي وأثرها على اللغة العربية - المؤتمر الخامس لمجمع اللغة العربية بدمشق ٢٠٠٦ - (والباحث خبير في الأمم المتحدة).

ب- تقانة الشابكة « الإنترنت »: عندما ظهرت الشابكة زعم المشككون مرّة أخرى أن هذه التقانة العالمية العظيمة سوف تتجاوز اللغة العربية.

فكانت النتيجة أن أفادت العربية من هذه التقانة العظيمة، ولعلّ أبرز تجلياتها.

١- المكتبات الإلكترونية العربية ومواقع النشر الإلكتروني العربية التي صار الواحد منها يعرض عشرات الألوف من الكتب للتصفح والبحث وبعضها مجانيّ. ولا أميل إلى ذكر أسماء تلك المكتبات والمواقع لكثرتها أولاً، ولخشيتي من تهمة الترويج لبعض منها دون بعض، فكلها عندي مما يستحق الثناء عليه، على ما في محتويات بعضها من أغلاط لغوية وطباعية آمل أن تصحّح، وعلى ما في اقتصار بعضها على بعض وجوه التأليف دون الأخرى لعوامل قد لا تكون علميّة.

٢- المكتبات الإلكترونية العالمية: ثمة مكتبة إلكترونية عالمية أنشأتها اليونسكو تضم مئات الألوف من الكتب في مختلف اللغات العالمية الحيّة، واللغة العربية بكتبها ودورياتها الهامة حاضرة بقوة في تلك المكتبة الأميّة الضخمة. أليس هذا دليلاً وتجسيداً لعالمية لغتنا العربية التي ما فتئ بعض الانهزاميين يطعنون عليها بسبب وبدون سبب.

٣- بنوك المصطلحات العلمية العربية العالمية: ويأتي في المقدمة منها البنك الآلي السعودي للمصطلحات (باسم) الذي يخزن نحو سبع مئة ألف مصطلح علمي عربي مع مقابلاتها بثلاث لغات أجنبية. (٢٧) كما أن بنك المصطلحات لشركة

(٢٧) د. عبد الله سليمان القفاري - البنك الآلي السعودي - مجلة اللسان العربي ع ٣٩ ص ٢٧٧.

(سيمنز) الألمانية أدخل العربية في عداد اللغات العالمية الثاني التي يعتمدها. (٢٨)

٤- المدونات اللغوية العربية: أقدم علماء لغويون على صنع مدونات لغوية للعربية تجاوز بعضها مليار كلمة (كمدونة عيدان) التي يجري العمل على بلوغها عشرة مليارات كلمة محملة على الشبكة (الإنترنت)، وتحتوي نصوصاً من العربية القديمة والمعاصرة ومن مختلف العلوم والآداب ومن مشارب متباينة في الثقافة العربية. ومما لا مرأ فيه أن المدونات اللغوية التي توازي مشروع (الذخيرة اللغوية) خطوة عظيمة نحو حفظ العربية أولاً وعالميتها ثانياً. (٢٩)

وأكثر من ذلك صارت الشبكة وسيلة فعالة لنشر العربية في داخل الوطن العربي وخارجه، فأُنشئت معاهد لتعلم اللغة العربية بواسطة الشبكة. (٣٠) وما كان مظنة تهديد للعربية - عند بعضهم - صار مدعاة نداء لها وانسياع في كل المعمورة. ولا نَعُدُّم من يَنْعَى المحتوى العربي على الشبكة وأنها في آخر اللغات على شاشاتها. نعم كان ذلك في البداية، ولكن الأيام دارت، وجهود الغير من أبنائها تعاضمت، فارتفعت نسبة المحتوى الرقمي العربي على الشبكة من ١,٤ ٪ إلى ٣ ٪. وتقدمت مرتبة اللغة العربية عليها إلى الثامنة بين لغات العالم

(٢٨) د. علي القاسمي - نحو إنشاء بنك المصطلحات المركزي - مجلة اللسان العربي ع ١٦/١: ١١١.

(٢٩) د. عدنان عيدان - مدونة اللغة العربية - المؤتمر الخامس لمجمع دمشق ٢٠٠٦ بحوث المؤتمر.

(٣٠) د. محمد عبد الرحمن آل الشيخ - مؤتمر اللغة العربية أمام تحديات العولمة: ٢٤٦ - ٢٦٠.

متجاوزة بعض لغات عالمية. (٣١)

ولعل آخر ما صدر عن المنظمات الدولية ويثبت عالميّة اللغة العربية قرارُ منظمة (إيكان) الدولية، وهي المنظمة العلمية والفنية الموكل بإقرار أسماء المواقع الإلكترونية والنطاقات، والموافقة على التسمية العربية وبالأحرف العربية لأسماء النطاقات. وبدأت مصر والإمارات وسورية تسمية نطاقات بالعربية. (٣٢)

أما من يشكو ضعف المحتوى الرقمي العلمي على الشبكة، فله الحقُّ في ذلك، ولكننا نذكر بأن التقدم العلمي والتقني لا تصنعه اللغة، بل هو مرتبط بالمستوى العلمي والحضاري للأمة وهو ما يجب علينا جميعاً الإسهام فيه وكلُّ في حقل اختصاصه وبكل ما أوتي من قوة.

ترى لولا تعريب علوم المعلوماتية وتقاناتها، هل كان بالإمكان أن تدخل اللغة العربية هذا الفضاء الرقمي الرَّحْب مستفيدة ومفيدة.

٥) التعريب واللغات الأجنبية:

حذارِ ثم حذارِ أن يفهم من كلامنا أننا من دعاة الانغلاق الثقافي أو اللغوي، فإن حرصنا على تعريب العلوم والتعليم لا يعدله إلا حرصنا على إتقان اللغات

(٣١) د. محمد زكي خضر - خطة مرجعية لمرصد اللغة العربية - ندوة مرصد اللغة العربية بدعوة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم دمشق ٢٠١٠.

(٣٢) حسن م يوسف - اللغة العربية في الإنترنت - ندوة اللغة العربية في المواقع الإلكترونية تنظيم اللجنة الفنية بمجلس وزراء الإعلام العرب - دمشق ٢٠١٠ م - بحوث الندوة..

الأجنبية حاملة العلم والتقانة ومَعْبَرنا إلى الحداثة والمعاصرة. ما ندعو إليه هو أن تكون العربية لغة التعليم الأساسية في جامعاتنا على أن يشاركها التعليم بلغات أجنبية لمقررين علميين في كل سنة دراسية، وبذلك نكون قد جمعنا بين الحُسْنَيْن وهما توطين العلم بلغة الأمة والانفتاح على العالم المتقدم بلغاته التي ستكون وسيلة التحصيل العلمي لطلبتنا الموفدين، ولتابعة الخريج الجامعي ما يجدُّ من معارف عصره لدى الأمم المتقدمة.

إن حرصنا على وجود أمتنا المتمثل بلغتها لا يقل عن حرصنا على التقدم العلمي والتقني وهو الغاية. ولكننا لا نرضى أن نقاوض هذا التقدم بلغتنا حاملة ثقافتنا وحافظه وجودنا كأمة إذ لا ضرورة لذلك.

نعم لتعريب العلوم والتعليم، لأنه طريقنا إلى تمثل العلم واستنباته في تربتنا العطشى وطريقنا إلى الإبداع، ولا للانغلاق الثقافي واللغوي والعلمي عن الآخرين.

لم يكن العرب في تاريخهم منغلقيين على ثقافتهم دون ثقافة الآخر، ولكنهم لم يذوبوا أبداً في ثقافته، وهذه هي الثقافة السليمة المعافاة التي نراها ونريدها لأمتنا. وإذا كان (فلوريان كولماس) قد شبه العُملة باللغة^(٣٣) وهو تشبيه مصيب إلى حدٍّ بعيد فإن عالمية العملة واللغة تعني شيئين:

أولهما: قابليتها للتداول في دول عدة، وهذا يعادل موضوعياً في اللغة قابليتها

(٣٣) فلوريان كولماس - اللغة والاقتصاد - ٤٤.

للترجمة والتبادل اللغوي، وهو متحقق في العربية منذ القديم.
وثانيهما: قدرتها على الانتشار عبر الحدود وفي أمم شتى، وهذا متحقق أيضاً في
العربية إذ هي عبرت حدود وطنها إلى أوطانٍ أخرى، فكانت لغة ثانية لها أو لغة
عقيدة وشرع فيها.

يرى د. أحمد مطلوب رئيس المجمع العراقي أن ما يجعل اللغة العربية عالمية
أمور هي: (٣٤).

- التأليف بالعربية أدباً وعلوماً.
- التعليم بالعربية في جميع المراحل.
- حوسبة اللغة العربية.
- الترجمة من العربية وإليها.
- إنشاء منظمة لرعاية اللغة العربية ونشرها في العالم ما أمكن.

ألم تتوفر كل هذه الاشتراطات في عربيتنا المعاصرة؟

بلى، إن لغة عمرها أكثر من خمسة عشر قرناً، حملت خلالها معارف أبنائها
وعلومهم وعلوم معاصريهم، وكانت أداة تواصل بين الأمم والحضارات
والعصور، هي الرابعة في العالم من حيث عدد الناطقين، والسادسة بين لغات العالم
الرسمية المعتمدة في الأمم المتحدة، والثامنة من حيث الانتشار على الشبكة، وهي
لغة عالمية شاء من شاء وأبى من أبى.

(٣٤) د. أحمد مطلوب - عالمية اللغة العربية - المؤتمر الخامس لمجمع اللغة العربية بدمشق

٢٠٠٦ م بحوث المؤتمر.

المصادر والمراجع

- التعريب وتأسيسه في الوطن العربي: د. محمد المنجي الصيادي - الوحدة العربية بيروت ط ٣- ١٩٨٤.
- التعريب مؤسساته ووسائله: د. ممدوح خسارة - الدار المتحدة ومؤسسة الرسالة - دمشق ١٩٩٩ م.
- التعريب في الوطن العربي واقعه ومستقبله: إعداد د. سام عمار. وأ. شحادة الخوري - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس ١٩٩٦ م.
- التعريب والتنمية اللغوية: د. ممدوح خسارة - دار الأهالي - دمشق ١٩٩٣.
- الثقافة العربية في عصر المعلومات: د. نبيل علي - عالم المعرفة (٢٦٥) الكويت يناير ٢٠٠١ م.
- الفهرست: ابن النديم - المكتبة التجارية الكبرى مصر - د. ت.
- اللغة والاقتصاد: فلوريان كولماس - ترجمة أحمد عوض ومراجعة د. عبد السلام رضوان - عالم المعرفة - الكويت ٢٠٠٠ م.
- المراجع المعجمية العربية: د. مسفر الثبيتي ود. محمود إسماعيل صيني. مكتبة لبنان ١٩٨٩ م.
- المؤتمر الخامس لمجمع اللغة العربية بدمشق - الكتابة العلمية باللغة العربية - دمشق ٢٠٠٦ م. بحوث المؤتمر.
- مؤتمر اللغة العربية أمام تحديات العولمة: المجلس العالمي للغة العربية أعمال الدورة الثالثة - بيروت ٢٠٠٥ م.
- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة: ع ٤ / ٣٢.
- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق: المجلد ٥٩ / ٤ - ٤ / ٦٠.

- مجلة اللسان العربي: الرباط ع ٣٩.
- مجلة التعريب دمشق: العدد ١٣.
- مجلة الوحدة: العدد ٣٣.
- الندوة السنوية لتعريب التعليم العالي - المركز العربي للتعريب والترجمة والنشر بدمشق ١٩٩٥.
- ندوة مرصد اللغة العربية: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - دمشق ٢٠١٠م بحوث الندوة.
- ندوة اللغة العربية في المواقع الإلكترونية: اللجنة الفنية لمجلس وزراء الإعلام العرب - دمشق ٢٠١٠م - بحوث الندوة.